جماليات التحديث في الخطاب النقدي في كتاب الحسّ الجمالي في النّقد الأدبي الاستحساني" للأستاذ الدّكتور رضوان النّجار

د. هشـــام خالدي

جامعـــة تلمســـان

مقدّمة:

ينطلق أستاذنا النّاقد (**رضوان محمد النّجار**) من امتياز فكري وفق خاصّية في تشكيل الحدث، وبامتلاك شمولي وفرادة في المفاجأة تجعله ينظر إلى خواص الإجراء باعتباره منطقا زاخرا بالمضامين وهو يتقدم بجملة من التّحليلات والتّأويلات ليشكل مفهوما نوعياً في الاستخدام الإجرائي، وتحديد هذا الافتراض المعرفي من منطلق التّميّز في المنظومة النّقدية التي اشتملت الجدليّة داخل حيّز مفهومي يولده خطاباً جماليا تأريخياً من منطق المفاجأة الذّاتية وبشكلانية إيديولوجية خفية يؤطّرها الحدث التّاريخي وفق متغيرات تتعلّق بكينونة الحدث

الكوني حسب مفهوم (هيدغر)، من هنا يتشكل الفعل الكوني للعبارة وبتحديثية داخل الضرورة التي تخلص إلى الجدوى من هذا المعنى ، هذه اللحظة النادرة في الإخراج الوجودي للنّاقد المبدع (**رضوان محمد حسين النّجار**) الذي يتكوّن بلفظة تحديثية وحدث متميّز يزيح عنه ذلك السّتار اللاّمعقول حتى تصبح المفارقة عند النّاقد هو التّاريخ الحقيقي للحدث ، وبوقفة يُحدّد فيها تلك القطيعة وجعلها البداية في النّقلة التّاريخية من ناحية التّشكيل اللّغوي وتقديم ما هو حتمي من اللّفظ والاحتفاء باللّحظة الممسكة بالحدث النقدي.

و ينطلق أستاذنا الكبير الدكتور: **رضوان النّجار** من خصوصية دقيقة في التراث النقدي العربي ليشكل جوهرية موضوعية في الجمال النقدي النسبي والمطلق وفق أزلية انطباعية تسفر عن تتابع لعملية الانفعال بالحلول والتقديرات التي تتناسب وطبيعة المنعطف الذاتي المتفرد للناقد ذلك بتشديده على التصوير التحديثي للنص عبر حياة حاضرة،وهي سمة طبع بها الناقد في تشكيل خطابه النقدي وإدراكه الدقيق لاستعمالاته الحديثة للاصطلاح النقدي واللفظة المتوافقة وزاويتها الاصطلاحية [1]، وهذا الفعل النقدي كان قد ارتبط بالمعنى التكويني لجذرية رغبته الأزلية في المنحى الجمالي وهو يكتشف وينكشف عن الجمالي الأزلي ليؤسّس الصّلة التّحديثية في النّقد وهو تشكيل أدركه الأستاذ **رضوان النّجار** من النّاحية الجمالية وبصيغ متخفية ودور يظهره في أنموذجه النقدي المتميز ، مثل جماليات شعر عمر بن أبي ربيعة.

فالأستاذ كان يحس بالدّهشة واللّذة عند الآخرين لكن الغريب في الأمر أنه لا يندهش من هذه اللحظة حين ينطلق إلى المفهوم الحداثي النقدي فهو يبحث عن الخلاص في الجمال والركون إلى خلاصات تتناول الموضوع الذي يؤكد الوجود لاستخلاص المعايير التي تنقله إلى العمل النقدي التاريخي الجمالي ويؤكد هذا المفهوم بالحاضر رغم الاختراقات التي تعوق مفهوم المحاكاة اللازمة في السيطرة على الإدراك من ناحية تحقيق المعيارية النقدية وهو تحد كان يعانيه الناقد من خلال ضريبة الإبداع فهي تنعكس في عملية اللاتجانس التي يطبعها المذهب التّطوري[2]، فالناقد المبدع دائما حساباته مغرية ودقيقة فهو دائما يحتفي باللّحظة الجمالية وتميزها لأنه يعتبرها هي الولادة الحسية للحدث فهي تسبق التّمييز لأنها الصّيرورة الدّافعة لتشكيل الوعي ولأنها جزء من الوعي باعتبار أنّ الوعي النّقدي أو الإبداعي بشكل عام هو وعي جمالي ومنطلق حسي دقيق في الانعطافة اللّغوية واللّفظية[3]، فكان الأستاذ يجمع هذه الانعطافات في تميزات جمالية تؤكد القاعدة والاستثناء والخروج عن الاثنين لأنّ الإبداع الجمالي مرتبط بالتّدفّق التّكويني وهو رمز للتّمرد الفكري ومفارقة في تشكيلة الحدث وإمكان موضوعي لحقيقة جمالية تعكس وجهات نظر تحليلية وتحويلها إلى أيقونات جمالية يقف وراءها تحديث تصويري لصيرورة قائمة وخاضعة إلى طقوس جمالية.

- ويتشكل الخطاب النقدي عند الأستاذ المميز الدكتور: **رضوان التجّار** من فسحة تجريبية وترقّب فاصل للتّجربة الحسية واتساع في أزمة الإنسان المعاصر داخل أزمنة حداثية تبدأ بلحظة التّرقب لمكون يتحرك وفق رسوخ تاريخي يجسد مفهوما يستهدف تطور الوعي التّاريخي داخل فهم جديد لتعدد الوقائع وهذا يتأكد بالفهم السيميولوجي لمكونات هذا الحراك الابداعي، هناك إدراك حسي يتعلق بآصرة التفكير الجمالي الصرف[4]، وعلى العموم تكون أجزاءه غامضة من الناحية السيكولوجية وتتأكد هذه بالمعرفة الحسية (استطيقا) إضافة إلى الوعي المنطقي بالمعنى الذي تشكله الملكات الذهنية إضافة إلى الولادات التفكيرية المستمرة وهي تبدو تعليلية داخل إرادات من التمييز والتفريق ، هناك أسلوب يوجز التعبير اللفظي ويحسن مداخلات الإشكال الأدبي وتقديم صورة منطقية تجعل هذه المؤثرات ومعناها وموضوعاتها البلاغية ، وفي ميدان التعبير الاستعاري الذي ينطلق من تعريفات منطقية وشعور بالمعنى وانكشاف لحالة التعبير الإدراكي الحسي[5]. وعلى العموم إن الكشف الدقيق لخصائص الخطاب النقدي عند **أستاذنا الدكتور رضوان النّجّار** من حيث حلقات التأمل في المظاهر الحضارية والأخلاق والصيغ تعطينا فهما بما هو جوهري في المنهجية النقدية من الناحية السيكولوجية لأنّ المنهج الداخلي الذي تضمن محتويات مهمّة الذي خلق من العد لأنه يتعلق بالعلو والاتساع والبحث عن الشيء النسبي وفق إدراك يعي المنطق الحسي وفكرة التصادفات اللفظية

كذلك حدود الالتباس وغياب الذات في الذات عند الناقد هو غياب يتعلق بالوعي النقدي[6]، فالخصوصية في هذا الموضوع هو الحضور الواعي للغياب الذاتي لأنه يشكل حدود وقاعدة حداثية حاضرة ومعلنة وهي تدخل في غياب فلسفة الكينونة ، فكان الأستاذ **رضوان النّجّار** يجعلنا نعثر في خطابه النقدي عن حضور غائب بكينونته في فلسفة حضورية بطريقة الغياب للخطاب النقدي الذي يدخلنا في كنه هذه الخصوصية فيبقى الغياب عند الناقد رمزا وجوديا وصلته تتمركز في الخطاب النقدي الحداثي وهو تعبير عن تعاملات في الأقوال والرموز والإشارات في إطار شبكة لغوية متقاربة إشكاليا في التحديث اللغوي ومجاله الدلالي[7] ، لأن في إشكالية هذا الغياب تتشكل منعطفات نقدية تستوعب نمو اللغة وتجعل من الدلالة رؤية واختراع وثيق الصلة بتركيبة الخطاب النقدي .

بنية الخطاب النقدي: لقد حاول **الأستاذ الناقد رضوان النّجّار** ان يشكل تعريفا للبنية النقدية من خلال مفهوم الترادف في الخطاب النقدي الذي تحكمه عملية التوليد (السيميولوجية) ،لقد تمثل الناقد مركزية التمثيل السيميولوجي وفق كشوفات لوقائع تضفي مشروعية على المدركات الفكرية وطبيعتها السيميولوجية في إطار من الضرورة للعلامات وقد سلّمنا **لأستاذنا رضوان محمد حسين النّجّار** موضوع التأمل داخل ظواهر الوعي النقدي من خلال الإحساس والإدراك إلى عمليات الاستدلال التي تصب بالجانب السيكولوجي أو

إلى الظاهراتية المعرفية أو إلى أسلوب الوعي الانطباعي ومنطقه الواصف ومقارباته القصدية في تشكيلات كمال الخطاب النقدي وحلوله وتصوراته السيكولوجية[8] ، إلا إن **الأستاذ رضوان النّجّار** قد تجلى بخطابه النقدي وفق تحليلين (منطقي وسيميولوجي) وقد مثلهما بالمفهوم الدلالي وما تعلق بخواص البنية التركيبية للخطاب وهي تتمتع بالصدق والضرورة والمقاربة وبشروط التماثلات المنطقية وانفتاحها على إشعاعات الوعي النقدي العالمي فأصبح لدى **الأستاذ رضوان النّجّار شيء من المثابرة لمعرفة المنظومات والنظريات النقدية ومجالاتها الحيوية الموجبة والتي خضعت لقوانين التطور وما بلورته العلوم الطبيعية والمفاهيم فكان لأستاذنا الفاضل رضوان النّجّار فضل السبق في اكتشاف تفاصيل جديدة في الخطاب النقدي والذي ينبع من :**

1- تفسير العلة القصدية لحركية الانطباع .

2- تفسير الظواهر السسيولوجية وعللها من الناحية المنهجية .

3 - تفاصيل التأمل الواعي للنقد .

4 - وصفه لآليات وجود الخطاب النقدي ذاته وعلاقته بالدلالة.

5- البحث عن مداخل لهذه الآليات النقدية واكتشافها منطقيا.

6- الدلالة السيميولوجية المتناهية من خلال الخواص الحتميه وهي تستند إلى سيرورات تسهم في بناء نواة تعريفية للخطاب النقدي واستدلالاته وتصنيفاته عبر فكرة تتعلق بالمعيار المنطقي.

7- إحساسه بالذّوق الجمالي الأدبي أثناء إمتاع العين في حدود الإنتاج إلى معنى الأصوات الخفيه والمضمرة والمعاني المترابطه وطبيعة الارتباطات الطبيعية للألوان داخل النصوص.

8- فكان لخطابه النقدي إيقاعا خاصاً في صورة اللفظ بشكل عام وسيميولوجية الاستعمال بشكل خاص .

المنظومة الحسية عند الأستاذ رضوان النجّار:

و تتشكل من العناصر التصويرية بما تمثلة الصورة من أنماط بنائية في الشكل والمضمون التجريدي للبنيه ، وتشكل المنظومة الأسلوبية عند الناقد في التشديد على تمثيل البنية البلاغية للخطاب النقدي لأنه هو النمط المجرد في لفظ أدق لمقدار ما يذهب إليه الخطاب النقدي ويبدو أن التمثيل التصويري يؤكد موضوعا قائما ومترابطا بالبنية التصويرية للمحاكاة وهي من ورثة الحس البنائي في النقد ، فالذي يضفي المميزات والمهارات الحسية والايحائيه هو البعد الذهني المتخفي بالحس والمكتشف بالقوة البصرية للنقد ودوام الوعي الشعوري للانجاز وتماثله في تحقيق أكبر قدر من الموضوعية في النقد [9]، إذ ان جعل التمثيل أولى الالزامات الخفية في الحس وحينما يكون حافز الاختلاف واضح المعالم ومجرد من فعل الغموض والمباشرة لكنه يتحقق بمستوى العمق في اكتشاف تفاصيل وأحداث تحولات المنطق البلاغي لخطاب وهو يقدم كشفا لمنظور توافقي يؤكد الذّوق الجمالي والمحاكاة للأصوات التي أصبحت المدخل الرئيسي لفعل الخطاب

النقدي الجمالي عند **الناقد رضوان النجار** فهو يبدأ بالأصوات الخفية التي تهبط أثناء نغمة فعل الكتابة التي كان يسمعها الناقد ويستطيع أن يستخلص منها الشروح والمفاتيح وتفاصيل الأنغام باقتضاء كل مقطوعة بنائية تتعلق بالخطاب النقدي وتقطع المسافة المرسومة في ذلك الميزان النقدي الذي يقدم شرحه الناقد وفق مدارات متفردة في الفصول المقصودة ونجد هذا الموضوع يتمثل بالتعبيرات الاطلاقية الوجودية وبثقافة نقدية يشكلها الحس وفق صورة متطورة في الممارسة وتتلخص في المبادئ النقدية وخطاباتها المركبة من الناحية الحسية .

نظام الانساق النقدية:

إن أنماط التمحور التي طبعت **مسار الناقد النجار** كانت انشطارات معرفية داخل خلاصات من التأويل وحضور مستمر يتحول إلى خطابات نقدية توفر انطلاقة متتابعة من الهواجس الأساسية التي طبعت الإشكاليات المعرفية وهيمنت على العناصر البنائية فكان للناقد منظومة نقدية تشكل مفرداته الداخلية والخارجية إضافة إلى شبكته السرية التي ينظر خلالها إلى مقتضى هذه الأشياء نظرة المتتبع الفاحص إلى خواص هذه اللحظات وبادراك لهذه الأنساق من الثقافة وبمقتضيات إدراكية تأسّس مجالها التبادلي وفق تقنيات وممارسات تؤسس حدودها التجريبية بمنظومة نقدية مؤطرة بالعلمية الفلسفية وبقوانين التأمل العالية وبفضاءات معرفية متغايرة تكشف تلك الخلاصات لنظام الأنساق النقدية[10].

إن الحدود المنهجية للبنية النقدية تجعل من النهائي النقدي اندهاشا ذاتيا عند الناقد فهو موضوع يتقابل بالتميز والتحول التاريخي وهو شكل من تصور الحلقات التاريخية وفق منهجية تفكيرية تقوم على المباحث العلمية وتقوم بفصل المجسات النقدية التي لا تضع حدودا بين الرصد الثقافي وبين الأشكال المبتة من الكلام المندثر ، إن تمثيل الانتماء النقدي وحدوده المعرفية يتحدد بمركزية الخطاب النقدي وتفكيره الجمالي وممارسات التفعيل للوجود والقواعد الإلزامية الواعية لحقيقة المشروع الثقافي النقدي وأسبابه التحديثية ومميزاته الفردية والجمعية وبديهياته التي تقدمها الخطاب التاريخي النقدي وغرضه الرئيسي هو الكشف عن استراتيجيات وعلاقات داخل المنظومة التاريخية للنقد وهكذا تكون عملية الرصد.

الخاتمـــة:

1- الابتعاد عن الخطاب النقدي المباشر الذي لا يناسب معنى منظومة الخطاب النقدي لأن النقد والخطاب النقدي هو ميدان يقوم بعملية التفكير ليجلي المخفي من الأشياء ويرفض اللغة المتعثرة ويتحقق بالأنساق اللغوية الحسية التي تقوم بتفصيل كنه تلك الخطابات .

2- الابتعاد عن تفاصيل اللاتفكير لأنّ النقد عملية ثقافية تفكيرية تتجه إلى الإبداع وفق سلاح التقابلية التي تعمل على إبراز حالة التفجر الإبداعي والقضاء على التخلف الثقافي .

الهوامـــش:

1- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الي القرن الرابع الهجري- طه احمد إبراهيم-أحمد الشايب،ص23.

2- في نظريه الأدب من قضايا الشعر و النثر في النقد العربي القديم-الجزء الأول-ج 1- عثمان موافي ، ص67.

3- نفسه، ص68 4- نفسه، ص68 5-نفسه، ص70

6- الأسس الجمالية في النقد العربي:عرض و تفسير و مقارنه-عز الدين إسماعيل، ص44 7- نفسه، ص48

8- مساهمه في النقد الأخلاقي للحداثه الغربيه- طه عبد الرحمن، ص55

9- الخصومة بين القدماء و المحدثين في النقد العربي القديم:تاريخها و قضاياها- عثمان موافي، ص102 10-نفسه، ص103.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

1- الأسس الجمالية في النقد العربي:عرض و تفسير و مقارنه-عز الدين إسماعيل

2- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الي القرن الرابع الهجري- طه احمد إبراهيم-أحمد الشايب

3- الخصومة بين القدماء و المحدثين في النقد العربي القديم:تاريخها و قضاياها- عثمان موافي.

4- سؤال الأخلاق:مساهمه في النقد الأخلاقي للحداثه الغربيه- طه عبد الرحمن

5- في نظريه الأدب من قضايا الشعر و النثر في النقد العربي القديم-الجزء الأول- ج 1- عثمان موافي.